اختصاص الإسناد بالمسلمين

والرحلة في طلبه

*مبحث فى* دراسات فى تاريخ الرواة وطبقاتهم

*إعداد / ميريهان مجدي محمود*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

شاه علم - ماليزيا

*mirihan@mediu.ws*

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى اختصاص الإسناد بالمسلمين والرحلة فى طلبه   
الكلمات المفتاحية – الثقة، الملل ، الدهور**

**المقدمة.I**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة اختصاص الإسناد بالمسلمين والرحلة فى طلبه**

**.عنوان المقالII**

**والإسناد خصيصة فاضلة لهذه الأمة، قال الحافظ أبو محمد بن حزم: "نقل الثقة عن الثقة مع الاتصال حتى يبلغ النبي خصَّ الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها، وأبقاه عندهم غضًّا طريًّا على مرِّ الدهور، وأما ما نقل مع الإرسال والإعضال فكثير في نقل اليهود والنصارى، إلا أن اليهود لا يَقربون فيه مع موسى كقُربنا من محمد بل يقفون ولا بد حيث بينهم وبين موسى أزيد من ثلاثين عصرًا".**

**وقال الحافظ أبو علي الجياني: "خصَّ الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، والأنساب، والإعراب". ومن الجدير بالذكر أن هذه الميزة قد اختص بها الدين الإسلامي، ولا يشاركه فيها دين آخر غيره، وإذا أردت التحقيق فاترك التاريخ وخُذ الكتب السماوية المعروفة بين الناس ما عدا القرآن المجيد، وابحث عن أسانيدها فسوف تجد سلسلتها منقطعة، على سبيل المثال توجد توراة موسى في هذا العصر أيضًا، لقد ذكر مؤلفو دائرة المعارف البريطانية بعد تحقيقهم وفحصهم أن هذه الأسفار دوّنت وجُمعت بعد موسى # بقرون كثيرة، ومما يدل على ذلك أن في التوراة الموجودة لدينا الآن نجد لكل حادثة روايتين مختلفتين، وحكايتين متباينتين.**

**لقد أكد بعض علماء الألمان هذا الرأي، وكثيرًا ما تتضارب الروايات فيها وتتعارض، كما تتعارض الأوصاف الواردة فيها للأعلام والحوادث المتعلقة بهم، وإذا أراد أحد أن يزداد علمًا في هذا الموضوع؛ فليرجع إلى مادة "باء يبل" في الطبعة الأخيرة من دائرة المعارف البريطانية.**

**كذلك حال الإنجيل، هناك أربعة أناجيل: متَّى، ومرقص، ويوحنا، ولوقا، لم يتلقَ أحد مؤلفي هذه الأناجيل من سيدنا عيسى  ولم يلتقِ به، وإذا تساءلنا عمن رَوَوا هذه الأناجيل نجد أن التاريخ يجهل هذا الأمر جهلًا تامًّا، وثمَّة حقيقة أخرى تضاعف الشكوك، وهي أن الرجال الأربعة الذين تنسب إليهم هذه الأناجيل لا يمكن القطع بأنهم هم الذين جمعوها في الواقع، فإذا كان الأشخاص المنسوبة إليهم هذه الأناجيل لا يطمئنُّ التاريخ إلى صدورها عنهم؛ فكيف يطمئن إلى صحتها، وزاد الطين بلة أننا لا نعلم يقينًا اللغة التي كُتبت بها هذه الأناجيل في الأصل، وفي أي زمان كتبت؛ فقد اختلف مفسرو الأناجيل اختلافًا شديدًا في تعيين زمان جمعها وتدوينها. انتهى هذا النص.**

**وكذلك أحوال كتب أخرى، ولكن عندنا نحن المسلمين لكل حديث سند ولو كان ضعيفًا، وبحث علماء الأمة عن رواته ورجاله حتى بيَّنوا حقيقة الحال: ليلها كنهارها، بل جعلوا الإسناد جزءًا من الحديث النبوي، ولا يُقبل حديث بغير إسناد، يقول عبد الله بن المبارك: "الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء"، وعنه أنه قال: "بيننا وبين القوم قوائم" يعني: الإسناد، وقال سفيان الثوري: "لا يصح أن يرقى السطح إلا بدرجة درجة"، وهذا يبيّن طريقة المحدثين العلمية في نقد الرجال؛ فإنهم جعلوا قوائم بأسماء الرواة، ورتَّبوها بحسب القوة والضعف ترتيبًا يكون هو الحكم في قبول الحديث وردّه.**

**وقال الأوزاعي: "ما ذهاب العلم إلا بذهاب الإسناد"، وقال سفيان الثوري: "الإسناد سلاح المؤمن فإذا لم يكن سلاح فأيُّ شيء يقاتل". وقال هشام بن عروة: "إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا؟" فهذا منهج علمي مضبوط في دقته وتحقيقه، اعترف به أعداء الإسلام، والفضل ما شهدت به الأعداء؛ حتى لم يملك أحد المستشرقين الذي كتب مادة الحديث في دائرة المعارف الإسلامية نفسه من أن يُظهر الإعجاب بالجهد الذي بذله علماء المسلمين في التحرِّي لصحَّة أحاديث نبيهم  على ما له من أغلاط كثيرة في هذه المادة؛ إذ يقول: "لا يُعدُّ الحديث صحيحًا في نظر المسلمين إلا إذا تتابعت سلسلة الإسناد من غير انقطاع، وكانت تتألف من أفراد يُوثق بروايتهم، وتحقيق الإسناد جعل علماء المسلمين يقطعون الأمر فيه بحثًا، ولم يكتفوا بتحقيق أسماء الرجال وأحوالهم؛ لمعرفة الوقت الذي عاشوا فيه، وأحوال معاشهم، ومكان وجودهم، ومن كان منهم على معرفة شخصية بالآخر؛ بل فحصوا أيضًا عن قيمة المحدث صدقًا وكذبًا، وعن مقدار تحريهم الدقة والأمانة في نقل المتون ليحكموا أيَّ الرواة كان ثقة في روايته".**

**إن المتقدمين من علماء المسلمين كانوا لا يعطون الاعتبار التام للكتاب إلا إذا كان راويه الثقة الضابط العدل قد قرأه على مؤلفه، أو كان لديه سند متصل بقراءة الكتاب وتلقيه من شيوخه عن شيوخهم إلى أن يصل إلى مؤلفه بهذه الدرجة، أو بهذه الصفة.**

**إن المحدثين اهتمُّوا بالإسناد لأنه يحفظ الشريعة من الخلط والدَّس فيها، ولذا قال الحاكم: "لولا توفر طائفة من المحدثين على حفظ الإسناد لدرس منار الإسلام". ثم لعلو الإسناد عند المحدثين فضل وشرف عظيم؛ لأن الوسائط في السند إذا كانت قليلة يحصل قرب من النبي  ولقلة الرواة في الإسناد يسهل معرفتهم وتحقيق أحوالهم، ولذلك كان لعلوِّ الإسناد عند المحدثين مزيَّة ومنقبة، ويُذكر في تذكرتهم بالاهتمام البالغ؛ لقد ألف المحدثون في الإسناد العالي مؤلفات كثيرة، وصار هذا علمًا من علوم الحديث، قال النووي: "وطلب الإسناد فيه سنة".**

**قال أحمد بن حنبل: "طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف"؛ لأن أصحاب عبد الله بن مسعود كانوا يرحلون من الكوفة إلى المدينة فيتعلمون من عمر > ويسمعون منه، قال النوي: "ولهذا استحبت الرحلة"، والرحلة وإن كانت قائمة في طلب الحديث في عهده  لكن في عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم قد تمَّت رحلات كثيرة من العلماء في طلب الحديث خاصة، وكثيرًا ما يقطعون المسافات البعيدة لسماع حديث، أو للتأكد من حديث وضبطه، أو لتحصيل علوّ الإسناد، أو للاطمئنان إلى من روى الحديث. قال الإمام مسلم وقد رحل في طلب الإسناد غير واحد من الصحابة: فقد رحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في الشام واستغرق في سفره شهرًا يستمع منه حديثًا واحدًا لم يكن جابر قد سمعه من النبي  ورحل أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر في مصر، فلما لقيه قال: "حدثنا ما سمعته من رسول الله  في ستر المسلم، لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك، فلما حدثه ركب أبو أيوب راحلته وانصرف عائدًا إلى المدينة المنورة، وما حلَّ رحله".**

**ونشطت الرحلات في طلب الحديث بين التابعين وأتباعهم، حتى لقد كان أحدهم يخرج ما يُخرجه إلا حديث عند صحابي يريد أن يسمعه منه؛ لأنه سمعه من رسول الله  وفي هذا يروى عن أبي العالية قوله: "كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله  بالبصرة؛ فلم نرض حتى نركب إلى المدينة فنسمعها من أفواههم"، وعن كثير بن قيس قال: "يا أبا الدرداء أتيتك من المدينة -مدينة رسول الله،  لحديث بلغني أنك تُحدّث به عن النبي  قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا. قال: ((إن الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم، وإن طالب العلم ليستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء...)) إلى آخر الحديث، ثم روى الحديث الذي سافر لأجله".**

**وروى الخطيب عن عبيد الله بن عدي قال: "بلغني حديث عند علي > فخفت إن مات ألا أجده عند غيره، فرحلت حتى قدمت عليه العراق". ورحلات العلماء والمحدثين كثيرة وراجع في ذلك كتاب (الرحلة) للخطيب البغدادي، وراجع كتاب أيضًا (جمع بيان العلم وفضله) لابن عبد البر.**

**المراجع والمصادر**

1. **(علم رجال الحديث)**

**تقي الدين الندوي المظاهري، المدينة المنورة، مكتبة الإيمان، 1987م.**

1. **(علم الرجال وأهميته)**

**عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني, دار الراية للنشر والتوزيع, 1417هـ.**

1. **(علم طبقات المحدثين: أهميته وفوائده)**

**أسعد سالم يتم، مكتبة الرشد, 1994م.**

1. **(تاريخ خليفة بن خياط)**

**خليفة بن خياط الشيباني، تحقيق: أكرم ضياء العمري, بيروت، مؤسسة الرسالة, 1977م.**

1. **(الطبقات)**

**خليفة بن خياط الشيباني، الرياض، دار طيبة،1982م.**

1. **(التاريخ الكبير)**

**عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم البخاري، بيروت، دار الكتب العلمية، 1884م.**

1. **(الجرح والتعديل)**

**عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1952م.**

1. **(مناهج المحدِّثين في رواية الحديث بالمعنى)**

**عبد الرزاق بن خليفة الشايجي، بيروت، دار ابن حزم للطباعة والنشر، 1419هـ.**

1. **(الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين)**

**أحمد محرم الشيخ ناجي, مطبعة الصفا والمروة, 2001م.**

1. **(من روى عن أبيه عن جده)**

**الزين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا، تحقيق: فيصل الجوابرة، المعلا، الكويت، مكتبة ابن سعد محمد بن سعد، 1988م.**

1. **(الرواة من الأخوة والأخوات)**

**علي بن المديني أبو داود السجستاني، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، دار الراية للنشر والتوزيع، 1988م.**

1. **(الكنى والأسماء)**

**محمد بن أحمد الدولابي،حيدر آباد، دائرة المعارف النظامية، 1322هـ.**

1. **(طبقات الحنابلة)**

**محمد بن محمد بن الحسين البغدادي أبو يعلى الحنبلي، مطبعة السّنة المحمدية، 1371هـ.**

1. **(الطبقات الكبرى)**

**ابن سعد محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار بيروت للطباعة والنشر، 1405هـ.**